وخرجنا من العرض الى جولة حرة فى أحياء دلهى القديمة .. ركبنا عربات « الريكشو » التى كان يجرها الانسان فى عهود القهر ، والتى أصبحت الآن « تاكسيات » شعبية بمحركات ، تتسع الواحدة منها لشخصين ، وبنصف أجرة السيارة التاكسى .

المساجد العتيقة العديدة فى دلهى باقية منذ مئات السنين ، وهذا مسجد قطب ، الذى يطلقون عليه هناك « قطب منار » ، والذى بناه قطب الدين أيبك بعد ان اجتاحت جيوشه مدينة دلهى ، لعل ذلك المسجد هو أعظم مسجد فى العالم ، فمئذنته هى أعلى المنشآت الهندية حتى الآن ، ولذلك فعندما تهددها السقوط بفعل الزمن ، سارعت حكومة الهند فدعمتها بدعامات شاهقة من الصلب ، تضمن بقاءها مئات أخرى من السنين ، ومن المشاهد الأسطورية المرحة التى لاتتوقف عند قطب منار ، تلك الأفواج المتتالية من شباب الهند والسائحين ، يحتضنون بأذرعهم منطقة معينة من المئذنة ، فاذا التقت الذراعان أو تلامست الأصابع خلف المئذنة ، هلل الشاب أو الفتاة ، فذلك فأل حسن فى الحب والزواج وتحقيق الأمانى .

ولعل دلهى من المدن القليلة فى العالم ، التى يستمتع سكانها بكل هذه الحدائق والملاعب ، والآثار الباقية منذ أعمق عصور التاريخ ، ودور السينما والمسارح ، وساحات الرقص والغناء ، والمعابد الهندوسية والبوذية ، والمساجد والمعاهد ، مظللة بملايين البلايين من أغصان عميقة الخضرة ، و .. وركبنا عربات الريكشو الحديثة ، عشرات الأميال فى قلب الليل الهادىء والحدائق النائمة ، الى حيث نقيم ضيوفا فى فنادق نيودلهى .

عبرت سيارتنا أحد أبواب الحديقة الى الباب الداخلى للقصر العتيق الذى تسكنه رئيسة الوزراء ، فوجئت بأن أبواب الحديقة مفتوحة أيضا لسيارات الأجرة وللراجلين ، دون أى اعتراض من أحد ، فلم يكن هناك عند الأبواب الخارجية ، ولا على امتداد الحديقة حراس من أى نوع ، ورافقنا موظفو القصر صاعدين السلم الرخامى العتيق الى صالة الاستقبال، صالة بالغة الرحابة ، والأثاث بالغ الأصالة والبساطة والجمال ، وعند الأركان البعيدة لمحت مواقد عديدة مشتعلة ، فوقها قدور ينضجون فيها طعام العشاء ، تقدم الينا شبان باسمون مهذبون بأكواب العصير ، من كل فواكه الهند بسهولها وجبالها ، وآخرون تقدموا الينا بالسجائر والسيجار ، وتناثرت بين الجميع تحيات وضحكات وأحاديث .

كنا مانزال وقوفا فى انتظار ابنة العظيم نهرو ، عندما فوجئت بها داخل القاعة ، وقد صافحت عديدا من الضيوف الذين اصطفوا سريعا